

الأنساق الثقافية في رواية الطرحان ل عبد الله كروم

Cultural Patterns in the Novel Tarhan by Abdullah Kroum

عبد القادر مجبري^{1*}، د محمد بلوافي²

¹ قسم اللغة العربية وأدائها جامعة تلمسان (الجزائر)، مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة الأهمقار

majabri01@Gmail.com

² جامعة تلمسان (الجزائر) Belouafimahammed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023 04/19 تاريخ القبول: 2024/06/03 تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

تسعى هذه الدراسة لاستكشاف الأنساق الثقافية في الرواية الصحراوية، من خلال رواية الطرحان للكاتب عبد الله كروم، والتي أنتجها عن منطقة توات بصحراء الجزائر، عشية الحرب العالمية الثانية، حيث كانت حبل بالرموز والدلالات، عن ما مرّ على المنطقة من أحداث ترسّبت في ذاكرتها الشعبية، ما انعكس في سرد أبنائها، فالنص وليد بيئته.

كلمات مفتاحية: الأنساق الثقافية؛ الطرحان؛ توات؛ الصحراء الجزائرية.

Abstract:

This study seeks to explore the cultural format in the desert novel, through the novel Al-Tarhan by the writer Abdullah Karroum, which he produced about the Tawat region in the desert of Algeria, on the eve of World War II, when it was pregnant with symbols and indications, about the events that passed through the region that were deposited in its popular memory, what It is reflected in the narration of its children, as the text is the result of its environment.

Keywords: Cultural patterns; Tarhan; Tawat; Algerian desert.

مقدمة:

تقع صحراء توات بالجنوب الجزائري ضمن هامش الهامش (جنوب الجنوب)، وتعتبر فضاءً شهد العديد من الأحداث على مرّ تاريخها الطويل، بدءاً بطرق التجارة من ونحو عديد الأقطار (تيمبكتو، موريتانيا، تلمسان...)، مروراً بنازلة المغيلي باليهود وتأثيرها الكبير على تاريخ المنطقة، إلى الاستعمار الفرنسي واحتلاله لتوات وجرائمه النووية برقّان، وصولاً للهجرات الدّاخلية من الشّمال الجزائري هروباً من الإرهاب.

بين كل هذا وذاك كان إنسان توات في صراعٍ أو انسجامٍ بينه وبين الطبيعة من جهة، ثم بينه وبين الآخر من جهة أخرى، صانعاً أو متفاعلاً مع أحداثٍ قد ساهمت بأيدولوجياتها المتداخلة وأسطورتها وخرافتها، في ترسّب عديد الأفكار والقناعات في الذاكرة الفردية والجماعية للإنسان التواتي، ما جعل اللّغة السّردية لمن كتبوا عن هذا الفضاء حُبلى بعديد الرموز والدلالات، لتتسرّب بعد ذلك كأنساق ظاهرة أو كأنساق مضمرة على سطح اللّغة.

من بين هؤلاء نجد عبد الله كروم - ابن توات - في روايته الطرحان، والتي أرّخ فيها - من وجهة نظره - لحقبةٍ زمنيةٍ مهمّةٍ في تاريخ توات عشية الحرب العالمية الثانية، هذه الحرب التي جعلت فضاء هامشياً كتوات يعاني بطريقةٍ أو بأخرى هو أيضاً، سواء في عام الجوع (عام الغلا كما أرّخ له) الذي جعل الأصدقاء الثلاثة يخرجون في هجرات عمودية باتجاه الشمال (الحساني وبازا) وباتجاه الجنوب (السباعي)، وهجرة أفقية للسباعي الحساني باتجاه الفيتنام، والمشاركة في حرب عالمية لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

فما هي هذه الأنساق الثقافية التي أضمرت خلف سرد عبدالله كروم في روايته الطرحان؟

أهداف الدراسة

تكمن أهداف الدراسة في ما يلي:

- معرفة مواضيع السرد في فضاء الصحراء
- معرف المواضيع التي عالجهها هذا السرد (الأنساق الظاهرة).
- محاولة إظهار وكشف الأنساق الثقافية المضمرة في رواية الطرحان.

المبحث الأول: السرد والصحراء

بحديثنا عن الطرحان لا بد أن نعرّج على سرد الصحراء: هل يشمل كل الأعمال السردية التي تناولت الصحراء؟ أم فقط الأعمال الأدبية التي كُتبت عن الصحراء وأقلام من استوطن هذا الفضاء لمدة قد تطول وقد تقصر؟.

- وانطلاقاً من وجهة النظر التي تقول بأنه يشمل جميع الأعمال التي كتبت عن الصحراء، فالكتابات هنا تختلف: هناك من الأعمال الأدبية ما تحكمه النظرة العجائبية المنبهرة بروعة الصحراء، وهناك أعمال عابرة للصحراء تنقل تجربة ذاتية ترى في الصحراء كمكان قابل للتمدد. (حسن المودن، 2009، ص 64).

فبدراستنا لمن كتبوا عن الصحراء نجد هناك ثلاث فئات:

- من رأى في الصحراء مكاناً يحتاج للتقدم والتمدد، يعيش في بدائية، وهذا ما حمله الفكر الاستعماري.

- هناك من رآها مكاناً ساحراً وعجائيباً وغير مألوفٍ، وهذا ما نلمسه في كتابات الرحالة والسّياح. (رزيقة مقداس، 2022، ص 129)

- وهناك من رآها كمنفى أو كمكان اغترابٍ لظروفٍ سياسية أو اجتماعية، كسنين الإرهاب، كضيف الله في روايته "تنزروفت" أو "تيميمون" لرشيد بوجدر.

وفي كل ما سبق نجد أن التجربة الإنسانية كانت مجتزأة، في زمنٍ محدّدٍ وفي سياقٍ معيّنٍ، وربما يكون هذا بعد تكوّن شخصيّة الكاتب في بيئته الأولى، ما سيجعله يقوم بإسقاطاتٍ لما ترسّب في داخله من صور وأحداث قديمة.

خلافاً لذلك، هناك من وُلد في هذه البيئة الصحراوية ... بذاكرة تراكمت بدءاً من صرخته الأولى ذات هدوءٍ صباحيٍّ في بيئتهم الطيني على ضوء الشمعة أو الكانكي وسط قسبة يحيط بها الرمال، استلمته داية القصر بدل القابلة، قطعت صرّته بسكينٍ طبخ حادة تُستعمل أيضاً للختان، استُعمل الكُحل على الصرة بدل المعقم.

ذاكرة رشفة الشاي الأولى، ذوق الرمل والطين وسمغ الدواة في الفم. قرصة وضرب الطالب

في الكتاب.

تواتي كُبر على حكي الجدات لغريب الأخبار وجميلها " هنقارة الشريعة وعويشة حواشت الرماد " "تنيسم"، حكايا الجن، لتتطور عملية التلقّي لديه (ولو لنفس القصة)، بتنامي إدراكه مع تقدمه في العمر، بل أصبح يمتلك ذائقةً نقدية انطباعية تجعله يُفاضل بين حكي الجدة وحكي الخالة وحكي العمّة

حكايا الجدات والعمات كانت في مرات كثيرة لهدف تربوي وتوجيهي تعليمي، مع قدرة خلق عجيبة تجعل السرد مطواعا لهن، لإدخال الأحداث والأفكار التي يردن تمريرها في المتن بتبئير محكم مقصود، أو بابتكار قصص جديدة. هذه القدرة العجيبة جعلتنا - حتى بعد بلوغنا عمرا ندرك فيه أسطوريتها - نتوجس خيفة من الأماكن التي ذكرت بأنها مسكونة بالجن. لذلك فالمسرود يساوي الحياة وغياب المسرود يساوي الموت. (تزيبتان تودوروف، 2011، ص44).

أما عن توات كحيتّ جغرافي: فهي مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تُؤلّف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان (محمد الصالح حوتية، 2007، ص28)، جنوب ولاية أدرار.

المبحث الثاني: النقد الثقافي

من أهم الظواهر التي زامنت ما بعد الحداثة نجد النقد الثقافي، الذي يختلف عن النقد الأدبي الذي يُعنى بالتفتيش عن جماليات النص الأدبي، كما يقول الدكتور عبد النبي اصطيف "كلام نشئته نتحدث به عن كلام آخر وهو الأدب، ذلك الفن الجميل العريق... " (عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف، 2004، ص71)، فالنقد الثقافي يتعدّى جماليات النص الأدبي ليبحث عن الثبقيات التي تحتفي خلف الأقنعة البلاغية الجمالية كما يرى عبد الله الغدامي " ...لابد من الاتجاه إلى كشف عيوب الجمالي، والإفصاح عما هو قبحي في الخطاب " (عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف، 2004، ص59)، فالنقد الثقافي هو نقد أدبولوجي عقائدي فكري، يسعى لتعرية الخطابات المؤسساتية، وكشف الأنساق الثقافية المتخفية خلف الأقنعة الجمالية .

المبحث الثالث: النسق الثقافي

جاء في لسان العرب " النسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء " (ابن منظور، 1968، ص352).

أما اصطلاحاً فبإمكاننا أن ندعو شيئاً ما نسقاً "...حينما نريد أن نعبر عن أن الشيء يدرك باعتباره مكوناً من مجموعة من العناصر أو الأجزاء يترابط بعضها ببعض حسب مبدأ مميز" (محمد مفتاح، 1996، ص48)، أو كما يراه جميل حمداوي بمفهومه العلمي " نظاماً متكاملًا ومتربطاً من الأبنية النظرية التي يكونها الفكر حول موضوع ما" (جميل حمداوي، 2016، ص10). فالنسق هو مجموعة من العناصر المترابطة لكن ما يضمن ترابطها ويضمن بقاء النسق حسب رؤية عبد الفتاح أحمد يوسف:

- 1 - التكيف إن كل نسق لا بد أن يتكيف مع بيئته.
- 2 - تحقيق الهدف لا بد لكل نسق من أدوات يحرك بها مصادره، كما يحقق أهدافه.
- 3 - التكامل كل نسق يجب أن يحافظ على التوافق والانسجام بين مكوناته ووضع طرق لدرء الانحراف والتعامل معه، أي لا بد له من المحافظة على وحدته وتماسكه.
- 4 - المحافظة على النمط: يجب على كل نسق أن يحافظ بقدر الإمكان على حالة التوازن فيه (نجاة عرب الشعب، 2020، ص226)

ويجسد الغدامي النسق " عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة التسمية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصاً وناسخاً للظاهر، ويكون ذلك في نص واحد... ويشترط في النص أن يكون جمالياً وأن يكون جماهيرياً" (عبد الله الغدامي، 2005، ص77). ولعل دراستنا للأنساق الثقافية ودلالاتها في النصوص، لا بد أن يكون استناداً للسياقات الثقافية والتاريخية والإيديولوجية التي وُلدت فيها، لذلك فالأنساق ستتغير حسب هذه السياقات من مجتمع لآخر ومن حقبة زمنية لأخرى.

فالتسق كمفهوم مركزي في المشروع النقدي الثقافي (عبد الله الغدامي، 2005، ص77)، يحمل المضمر منه عيوب وقبحيات في الخطاب تختفي خلف الأفتعة الجمالية. ووظيفة النقد الثقافي هو اكتشاف هذه الأنساق وسياقاتها.

المبحث الرابع: الأنساق المضمرة المضمرة في رواية الطرحان ودلالاتها

يجرّك الكاتب الوقائع في رواية الطرحان منطلقاً من السرد بضمير المتكلم (السباعي)، صوت يجتبي خلفه الكاتب أثناء سرده، فمن بداية الرواية حتى الفصل 16 كان الرواي واحداً لجميع الأحداث، لكن وبخروج رفقاء الجوع وتفرقهم بتعدد وجهاتهم، تعدد صوت السرد ليتناوب عليه مسعود الدهاجي في الفصل 16، ثم العودة للسباعي في الفصل 17، ليسرد لنا الحساني ما جرى له بعد افتراقه عن بازا في الفصل 18، ليتسلم السرد الوافد الجديد للمنطقة نادين في الفصل 19، وكأن لحظة افتراقهم كانت لحظة تفرق السرد بينهم، وباعتبار الرواية إنتاجاً ثقافياً يصور فيه الكاتب مجتمعه في سياق تاريخي واجتماعي معين، فقد تداخل الواقعي بالأسطوري، والتاريخ بالحاضر، في السرد ما جعله مليء بالأنساق الثقافية المضمرة نذكر منها:

1. النسق الاجتماعي:

تدور أحداث الرواية في مجملها بإقليم توات، وتتمظهر عادات وتقاليد وطبيعة النسيج الاجتماعي في هذا الإقليم، حيث يتحدث الكاتب عن القصة التي تجمع السكان داخلها كبيت واحد، له باب رئيسي للدخول ليتفرع لثلاث أزقة، كل زقاق يجمع سلالة معينة، مع أن الكاتب لم يُشر إلى الفروقات الاجتماعية التي كانت تميّز توات لعقود طويلة بصريح العبارة، إلا أنه لَح لها من خلال وصفه للسلالات الثلاثة "والزئوج في القصة وما جاورها هم أهل اللمسة الفنية والصناعية، إذ أغلبهم عناصر في فرق البارود والزمار، ومنهم الحرفي ... والحداد ... أما المرابطون الذين ينتمون إلى ذرية الولي الصالح سيدي الحاج المامون ... فيتوارثون إضافة إلى فلاحه الأرض فن الخط والنسخ وخزائن الكتب والمخطوطات ... أما قبيلة الأشرف فهم من العترة النبوية ... يتوارثون المال والجاه والتجارة " (عبدالله كروم، 2022، ص36).

فيجعل الزئوج أصحاب الحرف اليدوية الشاقة، والمرابطون أهل خط وعلم ومخطوط، والأشرف أهل مال وجاه.

وقد ظهر هذا الأمر في عدة روايات على غرار تلك المحبة للحبيب السايح، حينما يروي على لسان بليلو معاناة الحراثين في توات من بناء للقصور وشق للفقارات وصولا للغرس والبذر للأسياد " ... كان الجد غرسها شتلة منذ قرن، كما فعل الآباء من الحراثين والعبيد جميعا، ثم قضى عندها منبوذا إلى قدره، مهانا مكبوسا بلا اسم، مسحوق الكرامة " (الحبيب السايح، 2016، ص88)، وفي مملكة الزيوان إذ يتحدث الصديق حاج احمد عن صراع الداعلي مع المرابط، وهو الذي كان أدنى منه مكانة لكن مع تطور الزمن، تحرر تدريجيا وظهر صراع ظل حبيس الأعماق : "أما مبارك وزوجته قامو، فقد أعلنوا الفرح بلا خيفة أو حشمة، بنجاح ابنهما، واعتبرا ذلك انتصارا بارزا علينا، وبداية لاسترداد الحقوق المهضومة في العقود والقرون الفائتة" (الصديق حاج أحمد، 2013، ص196)

حديث الكاتب عبد الله كروم عن القصة، التي تجمع الجميع، في نسق يحيلك للإتحاد والاجتماع والتكافل، واجتماع كل سلالة في زقاق " يعيش بين أسوار القصة ثلاث أمشاج من السلالات، وحدهم الطين مرتين، الأولى يوم خلقوا... والثانية يوم حضنتهم حيطان القصة... يتوزعون على دروب ثلاثة، درب المرابطين ... ودرب الأشراف ... والدرب الثالث يقطنه الزوج.. " (عبدالله كروم، 2022، ص35)، لكن هذا النسق يفضحه نسقٌ مضاد من التشتت وهشاشة الروابط الاجتماعية التي تنهار أمام الجوع والحاجة "عام الغلا"، وبفعل سحر ثروة الجدد المتروكة، ما جعل الأعمام يتخلون بكل بساطة عن ابن أخيهم اليتيم والحفيد الذكر الوحيد في العائلة " قسمت التركة مناصفة بين الأخوين، وتُرك الملقطوع من الشجرة للعراء ... رمى عمي الفضيل قش أمي و أخي خارج الدار الكبيرة، ورمى عمي لحضر أغراضني من المخزن البراني .. " (عبدالله كروم، 2022، ص 55)

كما أن الخنتة زوجة العم تسحر النايرة أخت السباعي، وتساهم في عذابها حتى تموت، دون مراعاة صلة الدم، والدافع أنما لم تجبل بصبيان عكس أم السباعي، ولحذر السباعي الشديد من الخنتة فقد كانت انتقامها في النايرة.

وفي سياق آخر نجد أن الطالب قلوب استطاع التخفي بثوب الإمام كما فعل اليهودي قبله في تمنطيط.. ويتحكم في الزمام والبيع والشراء، واستعمال معاملة غير جائزة شرعا "

الطرحان"، وهو نسق مضمر لسداجة أهل توات التي لم تتغير، حتى استطاع اليهود السيطرة على تجارتهم والتلاعب بدينهم، إضافة لذلك نجد أن الطالب قلوب لم يورد له الروائي نسبا، (مجهول النسب) وغير بعيد أنه من اليهود الذين ذابوا في المجتمع التواتي بتغيير ألقابهم وأنسابهم هربا من بطش الإمام المغيلي، لذلك نجد أن عبدالله كروم كرر ذكر مخطوط "النشاب في علم الأنساب" (عبدالله كروم، 2022، ص 15، 56، 63، 131، 176)، وصية جد السباعي له والذي رافقه طيلة الرحلة من قصبتهم إلى رقان، وصولا للفيثنام، ليرجع آخر المطاف به للقصة، وكأن ذلك دلالة على أن الأنساب قد زُيّفت، وأن من يمتلك المعرفة "المخطوط" سيملك القوة، ويتجلى ذلك في أمر جده قائلا: "أحفظ النون بالسباعي، تحفظك" (عبدالله كروم، 2022، ص 32).

2. نسق إيديولوجي

"لا نبالغ إذا قلنا: إن أبرز الآليات التي تتدرج بها القراءة المغرضة هي الإيديولوجية باعتبارها وسيلة لاستغلال النص في بث الأفكار والمعتقدات وتوظيفها في خدمة أغراض غير معلنة" (عزيز عدمان، 2011، ص 122)، ومن الأنساق الإيديولوجية التي استعملت كثيرا في السرد عن أقاليم توات، نسق تواجد اليهود بالمنطقة، وتراثهم المادّي كالقصبات الدائرية، واللامادي كبعض الممارسات التي تسلّت كعادات عقائدية في المجتمع التواتي، ولعل أكبرها وأهمها نازلة المغيلي بتوات. فاستحضار قصة الشيخ المغيلي وطرده لليهود من توات، من خلال تقديم المقدم جونسون، اليهودي القائد في الجيش الفرنسي بركان والذي يتوارث الحقد كغيره من اليهود: "يبدو أن ديفيد التقى بمؤرخ يهودي يدعى بنيامين أو ليال وأسلمه بحثا اطلعت عليه، وهو بحث حول (تاريخ اليهود بمنطقة توات)، ويعدد فيه آثارهم، وأهم بنو فيها القصبات الدائرية وفق هندستهم، وقد سكنوا توات، وتمنيط تحديدًا، ولكن شخصا يسمى محمد المغيلي أجلاهم من هنا، ومعى كل وجودهم، وفي البحث أسماء القبائل التي ساندت محمد المغيلي" (عبدالله كروم، 2022، ص 157)

هذه القصة (نازلة المغيلي) واستحضارها ميثاسرديا قد نضعها في خانة ما يريد الكاتب قوله بعيدا عن السباعي، إذ يتوارى عبد الله كروم - وهو حفيد الشيخ المغيلي - خلف راويته السباعي، ليمرّ خطابا ثاريا لأبناء الشيخ لا يزال حسابه مفتوحا مع اليهود.

فعودة جونسون لينتقم، تدل على أن القصة لم تنتهي بعد، بل ستحملها رمال توات لقرون قادمة، وستأتي الأجيال سواء من سلالة الشيخ المغيلي أو من اليهود لتكمل ما هو عالق في الذاكرة المتوارثة جيلا بعد جيل.

ومع أن السباعي لم يذكر تمطيط والعصنوني في سرده، إلا أن الشيء بالشيء يفهم، وربما هي فجوة درامية أرادنا الكاتب أن نملأها، ويصنع أفق انتظار لما لم يقله. ومن الكتاب الذين تناولوا النازلة أيضا في رواياتهم نجد ضيف الله في روايته تنزروفت "... وتاريخ ولبيها الصالح وحقيقة ما فعله مع التلمساني بيهود تمطيط الذين طغوا في الأرض حينما ملكوا أسواق الصحراء" (عبد القادر ضيف الله، 2013، ص76)، وما أورده الحبيب السايح في روايته تلك المحبة "كان محمد التلمساني خرج من عند السلطان تستعجله الخيبة عودة محمومة إلى الصحراء، فأعد العدة وجمع الجمع، فلما كان له ما أراد خطب ثم أفتى: «أقول والله المستعان لا شك أن اليهود المذكورين، كيهود توات ... قد حلت دماؤهم وأمواهم ونساؤهم ولا ذمة لهم» (الحبيب السايح، 2016، ص40).

3. نسق الفحولة

استحضار ثيمة الجنس كآلية انتقامية من المستعمر أو بالأحرى اليهودي المتمثل في المقدم جونسون الذي جاء لينتقم من أبناء الشيخ المغيلي وكل من ساعده، كنوع من أنواع الفتوحات، وقد استعملها قبل هذا الطيب صالح في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال"، فالجنس كمرادف لتفوق الأنا وقدرتها على اغتصاب الآخر في عقر داره كانتقام عن جرائمه، فمصطفى سعيد غزى إيزابيل وشيلا وآن وجين، يقول: "أنا الغازي الذي جاء من الجنوب ... أخذتها هنالك (يقصد جين مورس) في العراء، لا يهمني إن كان ذلك على مرأ ومسمع من الناس" (الطيب صالح، 2004، ص144)، وبعودتنا للطرحان فإن هذا النسق يتمظهر جليا في اللوحة الثالثة على سفينة باستور المسافرة لمدينة سايعون حيث قال للمجندين العرب من شمال إفريقيا متهكما على المقدم جونسون "صاحبكم عني والله ما يسعاه" (عبدالله كزوم، 2022، ص182)، في تحدّ ضمني له، فرغم سطوتك وجبروت فرنسا العظيمة، وخلفيتك اليهودية التي تشعرك أنك فوق باقي الأجناس، لم تستطع أن تقنع امرأة في الفراش، وهو نسق فحولة مضمّر، للسباعي الذي أحبته الباقوت وعاشر نادين ليترجج بالفيتنامية سلالة الأباطرة .

4. نسق الذكورة

يظهر السارد في رواية الطرحان (السباعي) مشاركا في السرد، له رؤية مصاحبة، فعلى مدار أحداث الرواية كان صوت السباعي هو الغالب لينتهي الحكاية كما بدأها " عدت ياناس أجل عدت، أنا السباعي ولد نجوم من أوزار حرب لاندوشين" (عبد الله كروم، 2022، ص11، 214)، فلفظت "أنا السباعي" صرحت بمدى تمظهر الأنا الذكورية في السرد، وحتى بعدما تفرق السرد، تفرق على بازا فالخساني، ثم نادين، ليقابل صوت أنثى ثلاثة أصوات ذكورية، ولو أن نادين صوتها كانت نافذة للسباعي على الآخر.

والملفت أن السباعي أحب الياقوت، وعاشر نادين، ليتزوج بالفيتنامية، سو لونغ، سليلة الإمبراطور، ولو أننا نلمس نسق فحولة مضمرة كما تقدم، إلا أن طغيان الذات الذكورية في المشهد، وتبغيرها كمركز للكون، جمع الجنوب بالشمال وبالشرق في عشق رجل واحد، فرغم تغير العشيقات يبقى الذكر الثابت في الأمر.

بل أبعد من ذلك، نجد في كل الحكاية أن الأنثى كانت ضحية ذكورة طاغية، دائما ما تكون الطرف الضعيف الذي يتحمل النتائج ولا يقوى على المواجهة:

- الياقوت تصاب بالجنون بعد غياب حبيبها السباعي.
- النارية التي قضت حياتها على جناح ديك مسموم.
- عضة السباعي للياقوت، التي تركت أثرا جسديا ونفسيا لها.
- " رمى عمي قش أمي وأختي خارج الدار الكبيرة" (عبد الله كروم، 2022، ص55)
- معاناة قدرية في حبها لرمضان، ومحاولة تقديمها (كشيء) من طرف أبيها كزوجة للتاجر القادم من أكرور.
- نادين ومعاناتها في الاغتراب عن الوطن، وعن الأفكار الاستعمارية التي يحملها زوجها الضابط جونسون.
- تحرّش الطالب قلوبش بالفتيات في الكتاب.
- امتهان عيشة امباركة حبيبة بازا للبقاء ببشار، لأجل العيش.
- انتحار الخادم لعدم تحملها لاغتصاب الرومي لها، وعجزها عن المقاومة.

ولعل من أبرز سمات الذكورة المستفحلة في مجتمع توات، هي قضية ولادة الذكور، واستعمال الخنتة لكل الأساليب من شعوذة، وتقرب من الصالحين حتى لا تلد طوبى " وكانت الحجرة وقتئذ كناية على الذكر، فيما تكنى بالطوبى الأنثى، والطوبى من الطين طبعاً، لأنها سريعة الذوبان، فيما تصمد الحجرة أمام طوفان الدنيا.. " (عبد الله كزوم، 2022، ص120)

ونلاحظ في كل هذا هيمنة ذكورية مع تشبيء للأنثى، وكأنها متاع فقط.

5. نسق سياسي سلطوي:

تكرّر ذكر الطالب قلوش في الرواية لأكثر من 19 مرة، باسمه قلوش الذي لا يتقبله

عدا مرتين:

الأولى في مخطوط الكعوي "خزانة أسرار القصة": "... هذا ويتولى الأمر مساعدنا الشيخ الفلاني" (عبد الله كزوم، 2022، ص21)، أما الثانية فعند تنفيذ بنود الطرحان: "... فإذا النعيمي ومعه الطالب قلوش الفلاني المؤمن على الزمام" (عبد الله كزوم، 2022، ص89)، وفي كلتا الموضعين قرنت شخصية الطالب قلوش بالزمام (وكانه مصدر قيمته ونفوذه الوحيد)، ولو أنه في الثانية ومع كون السرد بيد السباعي أضاف قلوش للفلاني استصغارا.

وجود سلطة الزمام أعطت لقلوش قيمة وسطوة، تجعله ينزع الأرزاق ويهبها بجرة قلم: "بدأ الطالب قلوش بجرة قلم ينزع الملكية ويحول سبخة بن عومر التي ورثتها عن جدي وصاية من ممتلكاتي إلى ممتلكات النعيمي" (عبد الله كزوم، 2022، ص92).

6. نسق الأنا والآخر

من الأمور الملفتة في ثنائية الأنا والآخر في رواية الطرحان - بنيويا - نجد أن علاقة الأنا (السباعي) مع الآخر أفيقا، تختلف عن علاقته مع الآخر عموديا .

بمعنى أن علاقة السباعي عموديا مع الوافد من أوروبا، والذي جعل من نفسه صاحب حق في هذه الأرض، أرض أجداد السباعي، كانت عبارة عن تحد وتناقض، في صراع تاريخي يموت ويتجدد، تغذيته مركزية الشمال.

لكن علاقة السباعي مع الآخر الفيتنامي أفقياً، كانت علاقة توافق يجمعها المصير المشترك، وهامش الجنوب. (المركز والهامش).

وقد أحصت د نعيمة بن الشريف ثنائية للأنا والآخر العدو في الرواية:
(الشرق ≠ الغرب)، (إفريقيا وآسيا ≠ الاستعمار الأوروبي)، (الجزائر والفيتنام ≠ الاستعمار الفرنسي)، (السباعي ≠ عمه الفضيل ولحضر وزوجة عمه الخنتة)، (النايرة ≠ الخنتة)، (البساتين ≠ الجراد)، (قصة المامون ≠ قطاع الطرق)، (سكان القصة وتيطاوين ≠ القائد الذي عينته فرنسا)، (نادين ≠ جونسون)، (السلم ≠ الحرب)، (هوتشي منه ≠ جنود فرنسا).

ويتنوع الآخر تنوع الضرر الملحق بالأنا (نعيمة بن الشريف، 2022، ص268)

7. القصة والمدينة:

من خلال تتبعنا لحركة الشخصيات من الصحراء إلى المدينة، نجد أن المجون يزداد، واللغو، ودناءة النفوس، فبوصول السباعي لرقان عاشر نادين ليتناسى تدريجياً جده الكعوي والشيخ الإدريسي وما قرأه في الكتاب وفي المدرسة القراءانية لسنوات ويتحول في أيام قليلة لعشيق بالليل.

ضباع عيشة مباركة بعد رحيلها باتجاه بشار وعملها في ماخور. الحساني وهو يكتشف مدينة وهران المليئة بالخمارات وبيوت الدعارة.

8. التراث الشعبي والأسطورة

يرى حسن المودن أن " الصحراء جزء من تراثنا الطبيعي، وإذا كانت الصحراء فقيرة في إنتاجها الزراعي والمادي، فإنه ينظر إليها على أنها غنية بتراثها الثقافي وإنتاجها الرمزي (حسن المودن، 2009، ص62). فالقصبات، الفقارة، المخطوطات، الحكايا حول نار الشتاء، أشعار الشلاي، الزوايا والكتاتيب، الأساطير، الخرافات، نازلة المغيلي، الحواضر العلمية بسالي وتمنطيط وأقبلي، وغيرها من الأشياء التي أراد منها الكاتب، إبراز الحمولة والخلفية الثقافية التي كانت في توات أبان الاستعمار الغاشم، حين كانت عملية التجهيل الممنهجة من فرنسا للشعب الجزائري، حمولة جعلته يحمل معه تمرات ثلاث من نخلة " تادمات"، ومخطوط " النشاب"، وضبلونة الوالدة، يحمل هويته معه.

هذه الخلفية التي جعلته يتعايش مع البوذيين، ويتوافق مع المولوي، في أقصى شرق المعمورة . ليعود وتستقبله تادمات التي غرس بذرتها قمر، وقد صارت نحلة باسقة، والأطفال ينادون ابنه " الشينوي ... الشينوي "، وهذا يدل على اطلاعهم المعرفي على الأجناس الأخرى بوسائل الاتصال، فتوات لم تعد توات التي تركها.

خاتمة:

جاءت رواية الطرحان كعمل سردي مليء بالأنساق الثقافية والدلالات، حاولنا من خلال بحثنا هذا تسليط الضوء على أهمها، وربطها بالسياق الذي كُتبت فيه، وباعتبار عبد الله كروم ابن توات وحفيد للمغلي، جعل روايته تُضمّر ما اكتشفناه من أنساق. من خلال قراءة أخرى لتاريخ المنطقة من وجهة نظر الكاتب ومن خلال تحليلنا للنصوص المحاذية.

المصادر والمراجع.

الكتب

- ابن منظور، 1968، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- تزفيتان تودوروف، 2011 شعريّة النثر (مختارات، دمشق)، الهيئة العامة السورية للكتاب
- جميل حمداوي، 2016، نحو نظرية أدبية ونقدية جديد، المملكة المغربية، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني.
- الحبيب السايح، 2016 تلك المحبة، الجزائر، فضاءات للنشر والتوزيع.
- حسن المودن، 2009، الرواية والتحليل النصي قراءات من منظور التحليل النفسي، الجزائر، منشورات الإختلاف.
- الصديق حاج أحمد، 2013، مملكة الزيوان، الجزائر، فيسيرا لنشر.
- الطيب صالح، 2004، موسم الهجرة إلى الشمال، القاهرة، دار العين للنشر.
- عبد القادر ضيف الله، 2013 تنزروفت، الجزائر، دار القدس العربي.
- عبد الله الغدامي، 2005، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المغرب، المركز الثقافي العربي.

- عبد الله كروم، 2022 الطرحان، الجزائر، دار خيال للنشر والترجمة.
- عزيز عدمان، 2011، دراسات في البلاغة العربية والنقد الأدبي المعاصر، الأردن، عالم الكتب الحديث.
- محمد الصالح حوتية، 2007، توات والأزواد، الجزائر، دار الكتاب العربي.
- محمد مفتاح، 1996، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي.

الأطروحات:

- رزيقة مقداس، 2022، الصورة- الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو الجزائر.

المقالات:

- نجاة عرب الشعبة، 2020، تجليات الأنساق الثقافية في رواية " هذا الأندلسي " لـ بنسالم حميش، مجلة علوم اللغة وآدابها، المجلد 12، العدد 03 (خاص)، الصفحات 624-643.
- نعيمة بن الشريف، 2022، الأنا والآخر في الأدب الجزائري المعاصر - رواية الطرحان أمودجا، مجلة الحوار الثقافي، المجلد 11، العدد 02، الصفحات 255-277.